استثمار العلوم المعرفية في تأويل الخطاب الإعلامي

أ.د بشير إبرير

قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باجي مختار – عنابة، bachir.ibrir@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2018/02/10 **تاريخ المراجعة:** 2018/06/20 **تاريخ القبول:** 2018/06/26

ملخص

يعدّ الخطاب الإعلامي نموذجا حيا للتمثيل الثقافي، بشقيه المرئي والمكتوب. يعبر عن مخزون التصورات والمعاني في المجتمع بواسطة اللغة التي تعد وسيطا تمثيليا هي الأخرى. وهو أيضا خطاب متعدد منفتح على التأويل. يشغل اللغة بكيفيات تخصه، ويتأسس على ترسانة من المفاهيم في اللغة والسياسة والقانون... وقد اخترت لمعالجة هذا النوع من الخطاب من العلوم المعرفية مدخلا منهجيا لاستثمار بعض مقولاته في التأويل، بوصف العلوم المعرفية حقلا علميا جديدا يتأسس على تضافر التخصصات وتشغيل المفاهيم.

الكلمات المفاتيح: خطاب إعلامي، تأويل، علوم معرفية.

L'exploitation des sciences cognitives dans l'interprétation du discours médiatique

Résumé

Le discours médiatique constitue un vif exemple de la représentation culturelle tant sur le plan visuel qu'écrit. Il exprime un certain nombre de perceptions et de sens dans la société à travers la langue, constituant elle-même un médiateur représentatif. Aussi, il s'agit d'un discours multiple ouvert sur l'interprétation et reposant sur un arsenal de concepts qui sont : la langue, la politique et le droit…etc. Pour traiter ce type de discours dans les sciences cognitives, nous avons adopté une approche méthodologique, afin d'interpréter quelques citations, étant donné que les sciences cognitives constituent un nouveau champ qui repose sur l'interdisciplinarité et l'utilisation des concepts.

Mots-clés: Discours informationnel, interprétation, sciences cognitives.

Investment of Cognitive Sciences in the Interpretation of Informational Discourse

Abstract

Informational discourse is a true example of visual and written cultural representation. It expresses the set of perceptions and meanings in the society throughout the language which is a representative mediator. This broad discourse is open to different interpretations, and based on a set of concepts in language, politics, law … etc. To deal with this type of discourse, this paper opts for the cognitive sciences as a methodological approach to investigate some quotations in the interpretation of the cognitive sciences because they constitute a new scientific field based on the interdisciplinarity and the use of concepts.

Key words: Informational discourse, interpretation, cognitive sciences.

المؤلف المرسل: أ.د. بشير إبرير، bachir.ibrir@yahoo.com

1- مقدمـة:

نعالج في هذا البحث موضوعا نراه مهمّا في البحث العلمي المتعلّق باللسانيات وتحليل الخطاب، وهو الخطاب الإعلامي. وهل هو خطاب يقبل التّأويل؟ وبخاصة أنّ الكثير من الدارسين في اللغة والأدب مثلا، يرون اللغة الإعلامية لغة مباشرة تتعلّق بنقل الأخبار بحرفيتها، وبذلك فهي لا تضاهي اللغة الأدبية الثرية الخصبة بطاقات المجاز التي تحقّق فيها البلاغة أو الشعرية، وتجعلها مفتوحة أبداً على التّأويل.

لكي نعالج هذا الإشكال اخترت العلوم المعرفية Les sciences cognitives مدخلاً منهجيا لاستثمار بعض مقولاتـه فـي تأويـل الخطـاب الإعلامـي. باعتبـار العلـوم المعرفيـة حقـلاً علميـا جديـداً يتأسّـس علـى تضـافر التخصّصات، وتشغيل المفاهيم المعرفية مثل: التصوّر والتمثّل والإدراك، ويتجاوز الدلالة اللسانية المحدودة إلى الدلالة المعرفية الموسّعة في تصوّر المعنى وصياغته.

وسيكون ذلك بواسطة مدوّنة مكوّنة من أربعة نماذج تمّ اختيارها من الصحافة الجزائرية تجمع بين اللّغة وبين الصورة.

ولذلك تمّ تأسيس البحث على العناصر الآتية بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة:

- في مفهوم الخطاب الإعلامي.
- في مفهوم التّأويل.
- في تأويل الخطاب الإعلامي باستثمار العلوم المعرفية.

2- في مفهوم الخطاب الإعلامي:

يتميّز تحليل الخطاب بانفتاحه على تضافر التخصصات وتكامل المعارف، يشمل الخطاب الأدبي والخطابات الأخرى غير الأدبية، ومنها: **الخطاب الإعلامي** بوصفه خطابا مؤثرا في غيره ومتأثرا في الآن نفسه، وبوصفه ينتمي إلى خطابات وصفية إخبارية مباشرة من المفروض ألاّ تقبل التّأويل.

إن الخطاب الإعلامي مفهوم معرفي، يشغّلُ اللّغة بكيفيات تخصّه وتميّزه عن غيره، شأنه شأن خطابات أخرى غير أدبية، ونسق كلّي مركب في مجتمع المعرفة، يتأسس على ترسانة من المفاهيم في اللغة والسياسة والثقافة والقانون... تصنع هويته وترسم حدوده الفاصلة في خارطة المعرفة الإنسانية على تنوّعها وتنوّع خطاباتها.

ويمثّل –من ناحية أخرى– نقطة تتلاقى فيها أنساق تعبيرية متعدّدة: لسانية وإيقونية. وهو –في ذلك– يتداخل مع خطابات لغوية أخرى، ويبادلها التعبير عن المقاصد والانتفاع بالفوائد.

أهمّها [1] : الخطاب السياسي إلى الدرجة التي يصعب التفريق بينهما أحياناً.

نشير إلى أنه في الوقت الذي يحظى الخطاب الأدبي بالقراءات الكثيرة من جوانبه المختلفة من لدن الدارسين في اللغة والأدب والنقد، تظلّ طاقة اللغة مهدورة خارجه في خطابات أخرى، ومنها: الخطاب الإعلامي. فكثيراً ما توصَف لغته بأنها لا تضاهي لغة الأدب، وكأنّ اللغة الأدبية هي الوحيدة التي تدوي فيها الاستعارات والكنايات، وتستثمر فيها طاقات المجاز المتعدّدة.

إن اللغة الإعلامية رهان من رهانات العصر المفروضة علينا، وهنا تكمن أهمية الخطاب الإعلامي، وتتجلّى خطورته في كونه ميداناً ثريّاً خصباً بإيحاءاته وأساليبه وانزياحاته الكامنة في صياغته اللغوية التداولية الهادفة دائما إلى تمرير ما تريد، وبالطريقة التي تريد من أجل تحقيق الكفاية التواصلية وفاعليتها.

والخطاب الإعلامي كما قال نبيل علي: «أكثر الأنشطة الاجتماعية استخداما للغة، منطوقة كانت أم مكتوبة. لذا تقع على لغة الإعلام مسؤولية النهوض بالأداء اللّغوي للمجتمع ككل. بالرغم من الأضرار التي يمكن أن يسبّبها» [2].

لقد صارت اللغة رأسمال يُستثمر في سوق اللّغات، ووسيلة استثمارية ومورداً اقتصاديا مهما يميّزه التنافس اللغوي في مجالات عديدة متعلقة بصناعة الثقافة، ويُعد الإعلام مجالا بالغ الأهمية في ذلك، يتّخذ من اللّغة وسيلة تنافس ودفاع وحماية، «وبخاصة أنّ هناك من يُريد لنا أن نصمت عن لغتنا الفصحى، بإشاعة اللّهجات العامية المحلية في وسائل إعلامنا من تلفزيون وإذاعة وصحافة أيضا»[3] وكذلك تسلّل بعض الاستعمالات باللغة الأجنبية إليها [4].

إن الرّأي السائد عند بعض الدّارسين في اللغة والأدب، وربما في تخصّصات أخرى، على أنّ اللغة الإعلامية لغة سهلة بسيطة تهدف إلى التواصل مع الجمهور وتبليغه مقاصدها باختلاف مستوياته المعرفية، يبدو صحيحا بعض الشيء، فيما يتعلّق ببعض المقامات التي تقتضي مستوى لغويا إخباريا واصفاً للخبر كما هو، غير أنّ المسألة تختلف في مقاماتٍ سياسية أو ترويجية. فإنّ الآلة الإعلامية تشحذ همتها لتستعمل لغة تشغّل المفاهيم وتشتغل بها، وتطوّعها لتكون وسيلة مؤثرة ومُوجِّهة صانعة للرّأي. وهي في ذلك منفتحة على تعدد الدلالات والمعاني، محمّلة مشحونة بمجازها الخاص، محتملة التّأويل.

يُعد الخطاب الإعلامي نموذجا حيًّا للتمثيل الثقافي بشقيه؛ المرئي والمكتوب، يعبّر عن مخزون التصوّرات والمعاني في المجتمع بواسطة اللغة التي تعد وسيطا تمثيليا تقرأ معانيه بعلامات عديدة؛ فقد تكون كلمات منطوقة – مكتوبة، أو وسائط مرئية تنتج الدلالات والمعاني عبر تداولها بين الأفراد [5].

ولهذا أرى أن الخطاب الإعلامي هو أيضا خطاب متعدّد منفتح على القراءة والتّأويل «تصنّفه المضامين الإخبارية وما تصدر عنه من أسس فكرية وخلفياتٍ معرفية ومرجعياتٍ إيدولوجية تتحكّم في تكييفه وصياغته بحسب المقام والهدف المحدد»[6].

بناء على هذا يكون الهدف من هذه الدراسة محاولة لربط العلاقة بين الخطاب الإعلامي بوصفه منتوجاً لغويا مؤسسيا، وشكلا تواصليا فعّالا، يستخدم وسائط إعلامية لها فاعلية في إنجازه. وبين التّأويل، وذلك بالانطلاق من الاستعمالات اللغوية التي يتم توظيفها للتعبير عن أغراض محددة، وتبليغ مقاصد بعينها يؤمُّها الإعلامي.

وكذلك محاولة قراءة الصورة المصاحبة التي هي جزء هام من الخطاب الإعلامي إلى جانب اللغة. فنبحث في كيفية انفتاحها –هي أيضا– على التّأويل. فهل تقول الصورة كل شيء بصفة مباشرة؟ أم أنها تقول أشياء ولا تقول أشياء أخرى، وهي بذلك تظل تختزن طاقتها المجازية الخاصة؟

3- في مفهوم التّأويل:

يمثّل التّأويل مفهوما بؤرة في تشكيل المعرفة، باشتغاله على مقولات فلسفية، وجهاز مفاهيمي متشابك ومتضافر يجمع بين حقول معرفية وعلمية متعددة. وهو من المفاهيم المتجذّرة في أعماق الأنظمة الفلسفية والإبستمولوجية في الثقافتيْن العربية والغربية على حدّ السواء.

فقد ارتبط في الثقافة العربية بنظر العقل العربي في لغة الوحي "القرآن الكريم"، ومحاولة تدبّره، بوصفه مرجعية أساسية للمعرفة بمختلف خطاباتها. وهي –كما قال علي حرب– لغة يدخلها الاشتراك والمجاز والاستعارة، لغة

تتسع كما قال الفرّاء. لا تنحصر فيها الدلالة، ولا ينضبط فيها المعنى، فيها المحكم والمتشابه بالقدر نفسه، **الأمر الذي جعل علماء البلاغة يصوغون مفهوم "المجاز"** تركيزاً على خاصية البيان في القرآن الكريم.

وجعل علماء الكلام يصوغون مفهوم "التّأويل" للتوفيق بين النص والعقل.

وعليه مادام نص الوحي مجازاً فإنه يسمح باستعمال اللفظ في غير ما وضع له؛ مما يفتح الباب للتّأويل من أجل استعادة الدلالة المفقودة في الخطابات المختلفة باختلاف الذوات[7] .

والأمر نفسه للتأويل في الثقافة الغربية، فهو مفهوم إشكالي يتكئ على أصول إبستمولوجية، ومناهج ومفاهيم خاصة، وأعلام ودارسين لهم توجهاتهم وآراؤهم.

وبالمختصر المفيد نعد التّأويل مفهوماً معرفيا مشحوناً بالدين واللغة والفلسفة والمنطق والتاريخ والقانون والسياسة والاجتماع ومعارف أخرى، **فهو حمّال أوجه** يختلف عن المفاهيم والمصطلحات المكوّنة لمنظومته من هذه الزاوية[8] ، ويشترك معها في زوايا أخرى. ولما كان التأويل يكمن في طبيعة الكلام نفسه المكوّن للغة بصفة عامة وللغة الخطاب الإعلامي بصفة خاصة، واحتمالا قائماً في الأقوال والآراء المتعددة التي تتضارب حول الخطاب الإعلامي وتتجاذبه، فهو إمكان تقتضيه اللغة الإعلامية في دوالها. فأن تُؤوّل يعني أن تدرك وتفهم وتصف وتصنّف وتحلّل. **وكلها مفاهيم تنتمي إلى منظومة التفكير المفهومي الذي تقتضيه العلوم المعرفية.**

4- في تأويل الخطاب الإعلامي:

4-1- تقديم المدوّنة:

يمكن الانطلاق في تأويل هذا النوع من الخطاب من النماذج الآتية:

النموذج الأوّل: مأخوذ من جريدة الخبر الجزائرية بتاريخ الأحد 24 سبتمبر 2017م، الموافق لـ 3 محرم 1439هـ، العدد 8638، ويجمع بين اللغة والصورة، وهو الآتي:

وأما النموذج الثاني: فهو رسم كاركاتيري يتحدث عن النضال من أجل مدرسة جزائرية أصيلة، أوردته جريدة الشروق العربي الجزائرية. العدد 5576 الموافق ليوم 14 سبتمبر 2017م، الموافق لـ 23 ذي الحجة 1438هـ، وهو الآتي:

وأما النموذج الثالث: فهو صورة فوتوغرافية مركّبة تتحدث عن الحياة التعليمية، أوردتها جريدة الخبر، العدد 8624 الموافق ليوم الأحد 10 سبتمبر 2017 الموافق لـ 19 ذي الحجة 1438هـ، وهي الآتية:

وأما النموذج الرابع: فيتمثل في نص مكتوب في ركن "منامات" بجريدة الشروق العربي الجزائرية، العدد 5596 الموافق ليوم الخميس 05 أكتوبر 2017م، للقاص الصحفي "عمار يزلي"، عنوانه: «خبزة بـ 15 مليون سنتيم !»، وهو الآتي:

مقامات
خبزة بـ15 مليون سنتيم !

2-4- المقاربة المنهجية المعتمدة في التّأويل:

لما كانت المقاربات أو المداخل Les approches المنهجية في تحليل الخطاب الإعلامي وتأويله متعدّدة، أهمها تحليل المحتوى Analyse de contenue الذي صار متجاوَزاً، وبخاصة ما وفّرته علوم اللسان من معطيات جديدة في تحليل الخطاب بصفة عامة، والخطاب الإعلامي بصفة خاصة. رأيت إمكانية الاستفادة من العلوم المعرفية في تأويل هذه النماذج. فما هي العلوم المعرفية؟ وما أهميتها؟

تُعدّ العلوم المعرفية Les sciences cognitives حقلا علميا جديدا، يجمع بين تخصصات علمية ومعارف متنوعة مثل: فلسفة اللغة وعلم الأعصاب وعلم النفس المعرفي واللسانيات والأدب والرياضيات وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي.

فهي علم بيني يتأسس على تضافر المفاهيم والتخصصات في دراسة اللغة بوصفها نشاطاً ذهنيا متنوعا في التفكير والتذكّر والإدراك، ونظراً لأهمية العلوم المعرفية في السعي إلى تقديم المفاتيح المساعدة على فهم الظواهر المختلفة ذات العلاقة بالإنسان في نشاطه الذهني وتصوراته ورؤيته للعالم، وما يمكنه من التلاؤم مع محيطه والتواصل مع غيره، **فقد رأيت إمكانية استثمار بعض مقولات هذا العلم في تأويل الخطاب الإعلامي**؛ وبخاصة أنّ العلوم المعرفية قد تجاوزت **الدلالة التوليدية** التي جاء بها تشومسكي إلى **الدلالة المعرفية** كما عند تلاميذه مثل: جاكندوف R. Jackendoff ولايكوف G. Lakoff ومارك جونسن M. Johonson، وغيرهم[9].

تتعلق هذه النماذج بحدث محدّد تعبّر عنه من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، شكّل موضوعا مهما في الحياة الإعلامية بوسائلها المتنوعة وخطاباتها المختلفة، فانبثق عن ذلك ما سمته الدارسة الفرنسية صوفي موارون Sophie Moirand **باللحظة الخطابية** [10] Moment discursif. يتمثل هذا الحدث في **قانون القرض والنقد** الذي قدمته الحكومة للهيئة التشريعية المتمثلة في المجلس الشعبي الوطني، ومجلس الأمة للمناقشة والتصويت عليه.

فانبثق عن ذلك منتوج خطابي متنوع في الوسائط الإعلامية[11] .

يتناول الحدث بالوصف والنقد والتحليل خطاب الحكومة والموالاة والمعارضة من ناحية، وفي وسائل الإعلام من ناحية ثانية بين معارض ومؤيد لطبع النقود، وكلٌّ مقدِّمٌ أدلّته وبراهينه على رأيه.

وقد أدى ذلك إلى ما سمّاه ميشال بيشو M.Pécheaux (1938-1983) وهو أحد تلاميذ ألتوسير L.Alhtusser **بالتشكيل الخطابي أو التشكيلة الخطابية** [12] La formation discursive.

إن التشكيلة الخطابية هي الوجه الظاهر للإيديولوجيا، ولقد التف حول "ميشال بيشو" ما بين 1969 و 1983 عدة لغويين ومؤرخين وفلاسفة، محاولين الربط بين نظرية تحليل الخطاب ونظرية الإيديولوجيات، فعلى جسر التشكيلة الخطابية يتكون التشكيل الإيديولوجي في اللاوعي، ويبرز من خلال التشكيلات الخطابية، كما ذهب إلى ذلك كل من "ر. بوبان" و"ج. قيلومو"[13] .

وكما يبرز من **الممارسة الخطابية** La pratique discursive، فالخطاب الإيديولوجي ممارسة لغوية اجتماعية تظهر في تشكيلتها الخطابية المناسبة، يعني هذا أن الخطاب شكل لغوي للتفاعل الاجتماعي.

والملاحظ للنماذج المختارة يجدها تشكيلة خطابية تم إنتاجها في لحظة خطابية محددة، وهي عبارة عن ممارسة خطابية إعلامية تعبّر عن موضوعها أو موضوعاتها بواسطة اللغة والصورة. وكما تختزن اللغة طاقتها التعبيرية المحمّلة بالإيديولوجيا، فكذلك الصورة.

تمثل الإيديولوجيا جملة المكونات الخفية المتجذرة في الخطابات المختلفة (أدب، سياسة، إعلام، تربية، فلسفة...)، وهي هنا تتجلى في هذه النماذج الإعلامية من الصحافة الجزائرية المكتوبة، إنها تختفي خلف الكلمات وخلف الصورة في الآن نفسه.

4-2-1- تأويل النموذج الأوّل لغة وصورة:

يبدأ هكذا: «**بعد التدريس بالعامية واختفاء البسملة جاء دور النقاب الإسلاميون يسقطون في فخ الإلهاء السياسي**»

تبدو اللغة والصورة محملتيْن بالإيديولوجيا مثقلتيْن بها، يبرز ذلك في الكلمات، وفي صور الشخصيات، وهي شخصيات ذات مناصب سامية في الدولة، فالمنصب في حد ذاته له دلالته في الصورة، ويجعلها تتعدى التقرير La dénotation إلى الإيحاء La connotation. ويمثّل ذلك من الناحية المعرفية نشاطا فكريا إنسانيا، وفاعلية ذهنية تُسهم في تشكيل المضمون وتجسيد الفهم، والإنجاز المعرفي. وكذلك يُسهم في عملية التواصل. فهو إجراء يعطي المعنى للأشياء بطريقة مختلفة[14] .

وهنا يحضر المؤوّل بما يحمل من استعدادات نفسية وعلمية معرفية ولغوية، وتصورات ذهنية، ورؤيا للعالم ليمارس فعل التأويل انطلاقا من وعيه باللحظة الخطابية التي أسهمت في إنتاج هذه الخطابات، وبالمفردات المؤسسة للسياق اللغوي مع روابطها اللازمة. ونلاحظ الوظيفة التي يؤديها العنصر اللغوي "**بعد**" في «بعد التدريس بالعامية...»؛ فهو يفيد الترتيب الزمني للأحداث؛ فقد كانت الدعوة للتدريس بالعامية هي في حد ذاتها لحظة خطابية مستقلة في الخطاب التربوي الجزائري، انبثق عنها العديد من الخطابات، كلٌّ عالج الموضوع بطريقته وقناعاته الفكرية، وبعد أن خفتت حدة الردود، أو وقع امتصاصها وإبطال مفعولها، جاء حدث آخر هو: «اختفاء البسملة» من الكتب المدرسية؛ فأثار ذلك أيضا الكثير من النقاش السياسي وبخاصة عند الإسلاميين. ثم جاء بعد ذلك دور "النقاب" وهو أيضا متعلّق بالمدرسة، فيوجد ترتيب زمني للأحداث كما يأتي:

- بعد التدريس بالعامية

- واختفاء البسملة
- جاء دور النقاب.

يمثل الزمن مقولة وظيفية حافظة لسلامة التركيب، ولكنها من الناحية الدلالية تشير إلى مجموع العلاقات بالنسبة لمجموعة من الأنساق التصورية من مثل: «اللحظة والمدة والحدث والتواتر والحركة، بوصفها تصورات تترجم في شكل مقولاتٍ معجمية تجعل من فكرنا مبنيا وفق خطوات تنسجم مع خصوصيات تجريبية ملموسة مع المحيط العام الذي يشغل الحيز الفضائي للإنسان» (15).

وهكذا فإن التدريس بالعامية، واختفاء البسملة أو إخفاءَها، والنقاب، قد مثلت من الناحية الدلالية **لحظة خطابية**. دامت **مدة زمنية**. و**حدثا زمنيا إعلاميا تواتر** في منابر إعلامية متعددة ومتنوعة بين المرئي والمكتوب، نتج عن ذلك **حركة** في خطابات الأحزاب السياسية، وبخاصة الإسلامية منها.

يعني هذا من الجانب المعرفي تجاوز المحافظة على سلامة التركيب من الناحية النحوية إلى الأنساق التصورية الذهنية وكيفيات اشتغالها في بناء المعنى المعرفي الإدراكي في هذه الملفوظات الثلاث التي هي «تمثيل ذهني» (16) من لدن الصحفي الذي كتبها، وبنى عليها المقولة الأساسية: «الإسلاميون يسقطون في فخ الإلهاء السياسي»

تحمل هذه المقولة –كما يظهر من لغتها– المعلومات الآتية:

- الإسلاميون يسقطون.
- في فخ
- الإلهاء السياسي.

وتمثل المقولات السابقة: «التدريس بالعامية واختفاء البسملة والنقاب» الفخ الذي سقط فيه الإسلاميون. **ويتعلّق بالإلهاء السياسي** الذي نعده مفهوما تصوريا معرفيا يجسد اهتمام الإسلاميين بالقضايا غير المهمة، ويُلهيهم عن القضايا المهمة ذات التأثير في المجتمع وفي الخطاب السياسي على الخصوص.

فلقد اهتموا بقضايا العامية واختفاء البسملة ومسألة النقاب، ولم يعيروا الاهتمام نفسه لقانون القرض والنقد ومدى خطورته على حياة المواطن اقتصاديا واجتماعيا، وعلى البلاد سياسيا داخليا وخارجيا في نظر الصحفي الذي قدم لنا معلوماتٍ انبنى عليها فهم المعنى الأساسي الذي يريد تبليغه، «وربط المعنى بالمعلومات بتصوّره الأقوال من خلال قدرتها على إيصال معلوماتٍ جزئية عن العالم»(17) .

يمكن أن نتحدث هنا، عن الكيفية التي تحصل بها المعاني، فمثلا: توجد ألفاظ محملة بمعانٍ مثل: الإسلاميون–يسقطون–في فخ–الإلهاء السياسي، بالإضافة إلى التدريس بالعامية والبسملة والنقاب. تتألّف هذه الألفاظ بعضها ببعض لتكوّن وحدة لغوية كبرى Macro-structureتتجلى في:

«الإسلاميون يسقطون في فخ الإلهاء السياسي»

وقد قيل هذا في مقام Situation يشمل مجموعة من العناصر يمكن أن نسميها بالفضاء الذهني. ومن جملة الفضاءات الذهنية، يمكن ذكر المعتقدات والحالات الشعورية ورغبات المتكلم وكيفية تصوره للواقع(18) .

وتظهر هذه الفضاءات الذهنية من الناحية المعرفية في فضاءات بديلة مثل: الروايات والمسرحيات والأفلام...

وقد ظهرت في هذا الخطاب الإعلامي الإخباري لغةً وصورةً مبنية على وظيفة مرجعية Fonction référentielle محددة، تعبر عن مواقف إيديولوجية فكرية وثقافية تميز خطاب الفاعلين السياسيين، وكذلك مواقف الصحفي وتصوراته.

فيوجد –بهذا– **نسق ذهني تصوري يظهره نسق لغوي للتعبير عن الطرائق أو الكيفيات التي يرى بها الصحفي العالم، وكذلك الطريقة التي يتّبعها المتلقي في التأويل، وهي مبنية على بعد معرفي إدراكي محدّد.**

لقد تمثل الصحفي/الصحيفة الحياة السياسية في الجزائر بمختلف خطاباتها وخصوصياتها؛ من حيث الطرح للقضايا الكبرى التي تواجه المجتمع مؤسساتٍ وأفراداً، وعبّر عنها باللغة والصورة، ومثّلها بالاستعمال اللّغوي:

«**الإلهاء السياسي**» وهو مفهوم يتأسّس على خلفيات ثقافية وسياسية ناقدة لخطاب الإسلاميين السياسي. يمثّل هذا المفهوم في علوم المعرفة **معرفة مجسّدة** دالة على النسق المعرفي والبناء الذهني التصوري الذي جعله يصوّغ هذا المفهوم من الناحية اللّغوية.

4-2-2- تأويل النموذج الثاني:

يتضافر النموذج الثاني مع النموذج الأول في تناوله للحياة المدرسية، وتركيزه على «اختفاء البسملة» التي جعل منها معركة كما يبدو ذلك في الصورة؛ فقد جعلها المعركة الأساسية التي تحتاج إلى النضال. يبدو ذلك في الملفوظ: «النضال من أجل مدرسة جزائرية أصيلة».

ولابد من الإشارة إلى أن النموذج الأول قد عالجته جريدة الخبر والنموذج الثاني قد عالجته جريدة الشروق، فيوجد وسيطان إعلاميان عالَجَا موضوعاً واحدا بكيفيتين مختلفتين، ولكنهما يشتركان إلى حد ما في **النتيجة أو حاصل المعالجة.**

فما أشارت إليه "الخبر" باللغة والصورة، ووصفته بـ: "الإلهاء السياسي" وتركت للقارئ استنتاج المسكوت عنه وتأويله، قد وضحته جريدة "الشروق" من خلال صورة كاريكاتيرية معبّرة عن الوضع، تحكي عن معارك متعددة ليست "معركة البسملة" إلا واحدة منها: كما يظهر ذلك في الصورة:

- معركة الاكتظاظ.
- معركة المستوى.
- معركة المحتوى.
- معركة النقل.
- ومعارك أخرى.

– وفوق ذلك كله "**معركة الهوية**" **وربما هي أم المعارك**، والعنصر المحرك لصراع الخطابات في المنظومة التربوية، بين خطابات ترى نفسها ملزمة بالنضال من أجل مدرسة جزائرية أصيلة، وبين خطابات أخرى ترى نفسها ملزمة بتكريس وضع محتوم لمدرسة جزائرية حداثية معاصرة كما تدعي. وبين هذا وذاك ضاعت المدرسة، فيما عبّرت عنه جريدة الخبر بـ "الإلهاء السياسي" الذي سقط فيه الجميع ولم يقتصر على الإسلاميين وحدهم.

لقد اشترك النموذجان معا في:

التجسيد المعرفي للتخاطب والتواصل القائم على الاشتراك بينهما في الخلفية اللسانية والثقافية التي تمثل القاعدة الموسوعية برأي إيكو Eco 1985 لتوليد التواصل عبر وسائط متعددة[19] .

4-2-3- تأويل النموذج الثالث:

يتناول هذا النموذج قضية أساسية تعرفها المدرسة وهي: الأمراض النفسية والعقلية التي تعد ظاهرة مسكوتاً عنها، من الناحية الإدارية والقانونية، ولعلها من المعارك الهامة التي لا يتحدث عنها إلا القليل من الناس. وفي

ضوء هذا ظهرت بعض المطالب بتصنيف هذه الأمراض أمراضاً مهنية، كما تدعو إلى ذلك بعض نقابات التعليم. وكما يظهر في أعلى الصورة مكتوباً بخط أبيض مما يدل سيميائيا أنه مطلب سلمي مشروع.

نعد هذه الصورة نصا يجمع بين نسقين: أحدهما: لغوي، وثانيهما: إيقوني. فهو –من هذه الناحية– علامة سيميائية كبرى، تشمل علامات جزئية صغرى لها علاقات بعضها ببعض، تكتسب دلالاتها بانتظامها في الكل الذي تنتمي إليه.

وهي أيضا نسق معرفي معقد ومتشابك يجمع بين العمليات العقلية العليا: من ذكاء وذاكرة وانتباه وخيال...بما يمكن «لجميع أجزاء الدماغ المتخصصة أن تعمل سويا وبسلاسة»[20] في أداء وظائفها الإدراكية المتنوعة، وإجادة تمثيل الواقع، والتعرّف على التشابهات بين المرئي والمكتوب الذي هو اجتهاد لإدراك ما يصعب إدراكه من مخزون التصورات والمعاني الكامنة في الذهن[21] .

إن **الصورة وسيلة تواصلية فعالة متعددة الوظائف، وعنصر من عناصر التمثيل الثقافي، وبخاصة فيما تقتضيه الثقافة البصرية**La culture visuelle **في زماننا**[22] .

إن للصورة أنواعا عديدة؛ فمنها: **الصورة اللفظية** التي تتعلق بأشكال المجاز والتعبيرات الوصفية. ومنها: **الصورة العقلية** التي تهتم بالأحلام والذكريات والأفكار والتخييلات.... ومنها: **الصورة الإدراكية** التي تعنى بالبيانات الحسية والمظاهر الخارجية. ومنها: **الصورة البصرية** التي تعنى بالمرايا والصور المسقطة والمنعكسة. ومنها: **الصورة التصويرية** وتعنى بالصور والتماثيل والتصميمات. هذا ما أشار إليه "ميتشلW.J.T. Mitchell" في كتابه: دراسة الإيقونة: الصورة والنص والإيديولوجيا. متصوراً شجرة للصورة، مبينا أن كل فرع يحدد نوعا من الصور التي تعد مركزية الأهمية في الخطاب الخاص بأحد الحقول المعرفية أو الثقافية؛ فالصورة البصرية والصورة العقلية تنتمي إلى علم النفس والإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) وتنتمي الصور البصرية إلى علم الفيزياء، وإلى فروع الرسم والتصوير والنحت. وتنتمي الصورة المعمارية إلى تاريخ الفن والهندسة. والصور اللفظية إلى النقد الأدبي. وتَشغَلُ الصور الإدراكية منطقة مشتركة بين علماء الفيسيولوجيا، وعلم الأعصاب، وعلم النفس، وتاريخ الفن، ودراسة البصريات إضافة إلى الفلاسفة ونقاد الأدب[23] .

بناء على هذا تكون الصورة وحدة معرفية تنتمي إلى الثقافة البينية، تشكل موضوعا للدراسة المتداخلة الاختصاصات للعقل[24] .

لقد اعتبرنا الصورة السابقة نصا، ولذلك يمكن أن تكون المقولة الآتية عنوانا له:

«التعليم أقصر طريق نحو الانهيار العصبي!»

وهي مكتوبة بخط بارز وبلون أحمر، الأمر الذي يجعلنا نؤوّلها سيميائيا بأنها محققة للوظيفة الانتباهية phatique.

فهي تنبه على خطورة القضية في الواقع، وعلى الفاعلين في السياسة والقانون والصحة والتربية والتشريع أن ينتبهوا إلى ذلك.

وأسفل العنوان:

شاب جالس يضع رأسه بين يديه الموضوعتين على ركبتيه يشكّل الصورة بأكملها، وبما يمنحها قوّة وفاعلية إدراكية، وقدرة على جذب العين وتسهيل عملية الإدراك وإعادة تشكيل المعنى[25] عبر فعل الإبصار بوصفه آلية «مسؤولة عن الربط بين المدخلات عبر العينين وأجزاء المخ المختلفة حتى تكتمل الصورة»[26] .

سبق أن وصفنا التأويل بالنشاط المعقد والمتعدد والمتضافر مع تخصصات عديدة، ولذلك يمكن عدّه من ناحية أخرى سيرورة ذهنية يتحقق «بتشغيل الجهاز البصري ووظائف الدماغ المختلفة»[27] في إدراك المعاني الكامنة في هذه الصورة وقراءتها وتأويلها.

فماذا تقول؟ وكيف تقول؟ وماذا تخفي؟

هل تخفي الاستسلام؟ أم الرفض؟ أم الهروب من الواقع؟ أم البكاء؟

نشير في هذا المقام إلى أن الصورة لا «تكتسب معناها إلا عندما يتم ربطها بسياق تاريخي واجتماعي محدد تم التقاطها فيه. وعندما يتم ربطها بمنتجها "المصور"»[28] .

وقد تم التقاط هذه الصورة في سياق المطالب التي رفعتها نقابات التعليم عن الأمراض النفسية والعقلية لتصنيفها أمراضا مهنية. ولذلك فهي تعبّر عن «عوالم الدلالة التي أودعها فيها [المصوّر] لحظة التقطها»[29].

تمثل هذه الصورة شاهد حال على ما آلت إليه حالات كثير من المعلمين؛ من حيث الاضطرابات النفسية والعقلية إلى الدرجة التي صارت ظاهرة واضحة للعيان، جعلت من التعليم أقصر طريق نحو الانهيار العصبي. وهي بذلك، تشكل –من الناحية المعرفية– تمثّلا ذهنيا لكيفية اشتغال هذه الظاهرة في الواقع، ومسارات المطالب المتعددة التي لم تجد طريقها إلى الحل، وتمثيلا بصريا لها. الأمر الذي يناسب تغطية الشاب لعينيه بساعديه وإخفاء رأسه رافضا رؤية الواقع الذي يعيشه. **إن الرؤيا مضببة وآفاق االصيرورة غامضة**[30]. إنه لا يريد أن يحرر بصر هو يطلق عنانه، وفي ذلك تمثيل صادق لتجربته وكشف عن الكامن فيه؛ مما يجعل هذه الصورة تحتاج إلى عمقٍ تأويلي يكشف عن سر المواضعات المرئية واللامرئية المتحكمة فيها بالرغم من كونها صورة تحاكي الواقع.

4-2-4- تأويل النموذج الرابع:

ويتمثل في ركن بجريدة الشروق، يعده أسبوعيا القاص الصحفي عمار يزلي، اسم الركن "منامات" تناصا مع منامات الوهراني.

عنوانه: «**خبزة بـ 15 مليون سنتيم**»، وكما نرى فإن هذا العنوان يعمل من البداية على **إثارة انتباه القارئ، وتحقيق الوظيفة الانتباهية**، كما عند ياكبسون. فقد انطلق من تجربة وخبرة مكنته من قراءة الواقع وتأويله، ومن ثمة خلص إلى النتيجة/العنوان خبزة بـ 15 مليون سنتيم ! حاول –بذلك– أن **يجسد الواقع والمتخيل**، بارتسام أخيلة الأشياء والقضايا المختلفة في ذهنه, فراح يعبر عنها لغويا، ويصنع لها تصورات تخصه. مزج فيها بين مفاهيم كثيرة في الإعلام والسياسة والاقتصاد، بما يمكن أن نسميه في العلوم المعرفية «**المزج التصوّري**» وهي نظرية معرفية «تنسب إلى العالم المعرفي: جيل فوكوني G. Fauconnier وترى أن البشر يقومون من خلال ملكة المزج المفهومي بعملية بناء المعنى بواسطة صنع شبكات من التمازج المفهومي، فيحدث بناء على ذلك، إيجاد معانٍ جديدة ومفاهيم جديدة...»[31] .

يأتي بعد العنوان مباشرة المقولة الآتية:

«تملكني الرعب من الصور التي أعادت تذكيرنا بما لا نريد أن نتذكره بعد أحداث أكتوبر 1988 وما نجم عنه من تعددية أدت في نظر السلطة والتلفزيون إلى العشرية الحمراء...». نجد جملة «**تملكني الرعب**» جملة مفتاحا لها دلالة مركزية في سياقها اللغوي وفي مقامها الخطابي.

لقد عرض التلفزيون الجزائري صورا مّا سمّاه الكاتب وسماه آخرون أيضا، **بالعشرية الحمراء** الدموية التي أسالت دماء كثيرة أغلبها للأبرياء. ويوجد من يسميها أيضا: **العشرية السوداء**. وهنا تتدخل الإيديولويجية في **تشغيل**

الألوان والتعبير بها في هذا المقام الذي يتعلق بذكرى 5 أكتوبر 1988، ثم الحديث عن التعددية الحزبية، وما آلت إليه من دماء، مع ربط ذلك كله بالإنجازات المحققة في المجالات المختلفة وأهمها المجال الأمني من 1999، ليعطيها فعلا مرجعية إيديولوجية محددة في الخطاب السياسي المهيمن تبعث حقا على الرعب. وهو ما لا يريد أن يتذكره الكاتب؛ لأنه مرعب أو كأنه يبشر برعب قادم.

لقد فعلت تلك الصور التي عرضها التلفزيون فعلها في **الذاكرة العاملة للمتلقي**، بصفة عامة، وفي الصحفي كاتب العمود بصفة خاصة، بواسطة الكم الهائل من الصور البصرية والسمعية بتفاصيلها، بما فيها تلك التي تعرض أول مرة.

فيمكن أن نتحدث هنا، عن مفهومٍ علمي معرفي هو:

التمثيل الإدراكي للغة ويوصف بـ:

التمثيل والتخزين الانطباعي الذي يخص الذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة العاملة. ويتكون من نوعين من التخزين هما:

- **التخزين الإيقوني:** أو الذاكرة الإيقونية العاملة القائمة على المدخلات البصرية.
- **والتخزين الصدوي/السمعي:** أو الذاكرة الصدوية السمعية العاملة القائمة على المدخلات السمعية.

وهما ليستا ذاكرتين خاصتين بالتخزين؛ وإنما توجد عمليات تمثيل نوعية Représentations spécifiques؛ فالذاكرة الإيقونية تسمح باستخلاص الملامح القوية المقنعة من المجال البصري، والذاكرة الصدوية/السمعية **تمكن من القدرة على فهم الكلام بشكل أحسن**[32] .

وبهذا يكون الخطاب السياسي المهيمن قد استغل التلفزيون بوصفه وسيلة إعلامية ثقيلة في العزف على أوتار الذاكرة لإيقاظها وتشغيل المخزَّن فيها لصالحه، بالبحث في نقاط الضعف لدى المتلقي وتحسسها بالصورة التلفزيونية المتحركة المؤثرة بفاعلية، وبما فيها من لغة وأصوات وأصداء سمعية أخرى.

فكان الرعب متصورا ذهنيا بصريا وسمعيا يجمع بين ما تراه العين وما تسمعه الأذن.

ولذلك كله تملّك الرعبُ الصحفيَّ من الصور المعروضة فعبّر قائلاً: «خفت على أبنائي وعلى مستقبل أبنائهم، مع وضع يُراد لنا أن نقبله، ونطبق قاعدة "الوالفة خير من التالفة". فطلبت من أبنائي التزام الهدوء إلى غاية 2022، نهاية البرنامج الإنعاشي للاقتصاد وخزينة في حالة موت سريري.»

وهكذا من الرعب إلى الخوف على الأبناء والأحفاد، وبعبارة أخرى الخوف على المستقبل، والخوف من المستقبل في وقتٍ واحد.

لقد أنشب الرعب أضافره وصار كل فعل لا ينفع إلا الهدوء والرضى بقاعدة «الوالفة خير من التالفة» إلى غاية 2022. وهي العتبة الزمنية المقررة لنهاية البرنامج الإنعاشي لاقتصاد وخزينة في حالة موت سريري.

تبدو هذه الفقرة **ملغمة** بكلمات خاصة هي عبارة عن «ثقوب تتسرب منها وإليها الدلالات كما يقول بارت؛ بحيث تصبح اللفظة "موسوعة" تسع جميع التحديدات، وضوءا يمد أشعته نحو كل العلاقات الممكنة، ورمزا يحيل إلى تواريخ وذوات.»[33].

ذلك ما نقرأه في كلمات صار يستعملها الخطاب السياسي الجزائري ويسوقها الخطاب الإعلامي.

إن هذه الاستعمالات: تملكني الرعب، خفت على أبنائي، التزام الهدوء، حالة الموت السريري، الوالفة خير من التالفة.... إنما هي مجازات في مقامها، وفي سياقها ليست مجرد تلفظات اعتيادية، ولا هي مجازات تعمل على

بعد جمالي تزييني أو هامشي بل هي استعارات مرعبة مخيفة وقد تؤدي إلى القتل [34]. **فالمطلوب التزام الهدوء والوالفة خير من التالفة.**

إن الهدوء هنا كأنه ليس هدوءاً؛ وإنما هو الذي يسبق العاصفة إن لم يتم التزامه.

ولهذا راح كاتب العمود يقدم وصيته لأبنائه قائلا:

«ديروا الثقة في السلطة، لكن عليكم بالعمل والصرامة وعدم الاتكال على الدولة من الآن فصاعدا، انتخبوا واذهبوا للفوط جملة وتفصيلا، واعملوا وافتحوا أعينكم، راكم شفتو، ما وقع في العشرية السوداء. اتقوا الله وبلعوا فمكم إلا ما تقتاتون به من أيدي السلطة»

الملاحظ لهذه الفقرة/الوصية من الناحية التداولية تواتر استعمال الأفعال الكلامية مثل: ديروا الثقة... عليكم بالعمل. انتخبوا واذهبوا.. اعملوا وافتحوا. واتقوا الله، وبلعوا أفواهكم... بالإضافة إلى تذكيرهم بالتاريخ، بما حدث في العشرية السوداء، فعليهم بالهدوء والوالفة خير من التالفة.

إن النظر إلى اللغة في استعمالاتها هذه، قد تجاوز طابعها الوصفي المباشر، إلى الاستعمال العملي التداولي في الحياة اليومية، إلى خصائصها الأدائية المنجزة للأشياء. فعندما تكون اللغة إنجازية، وعندما يكون القول هو الفعل، فإنّ في إمكان المتكلم أن يؤثّر في المتلقي ويدفعه للتصرف أو الفعل[35] ، فينجز الأبناء وصية أبيهم الذي يحمل تصورات ذهنية دقيقة عن الوضع الذي تسوّقه السلطة بواسطة التلفزيون، وتعمل ليس على الإقناع به؛ وإنما على اتباعه والتزام الهدوء.

كما يحمل أيضا تصورات استشرافية للمستقبل؛ أي له نظرة استبصارية قائمة على جملة من المفاهيم الموظفة في هذا النص الإعلامي نذكر منها:

الرعب – التذكر – الخوف – السلطة– الإنعاش الاقتصادي– حالة الموت السريري – الهدوء... وغيرها. وهي مفاهيم –من وجهة نظر العلوم المعرفية– تمثّل «آلة معرفية للتبصر بعالم المفاهيم وصناعة المعنى، تقع عند أعمق عمليات التفاعل الإنساني مع الحقيقي...»[36]. لا تكتسب هذه المفاهيم معناها إلا بانتظامها في سياقها اللغوي الخاص[37] ؛ أي «أن الكلمة المفردة أو اللفظة المركبة لا تملك قيمة بلاغية في ذاتها؛ بل إن السياق هو الذي يحدد وجهتها البلاغية؛ فالمتلفظ بالعمل الاستعاري يجمع في التركيب ذاته بين عالمين ثقافيين مختلفين: عالم ثقافة المستعار، وعالم ثقافة المستعار له.»[38].

نعد هذه المفاهيم في نسقها ذات طبيعة استعارية في تحصيل المعنى اللغوي الذي أبعدته المقاربات اللسانية البنوية عن الدراسة الدلالية، بوصفه مباشراً وثانويا. وأعادته الدلالة المعرفية إلى صميم دراسة المعنى، وأعدت الاستعارة وسيلة معرفية مركزية لا يستغنى عنها لفهم العالم وفهم أنفسنا، وأكثر من ذلك تسهم في إبداء معانٍ جديدة بصفة طبيعية[39] .

4-2-4-1- من الواقع إلى المتخيّل:

ثمة رحلة من الواقع إلى المتخيل، تنتقل بين التصورات الذهنية؛ فمن تصور إلى تصور آخر. وهكذا تبدأ الرحلة إلى اللغة باعتبارها المؤسسة التي تعبر عن نشاطات العقل في الواقع، ثم الانتقال أو الهروب إلى المتخيل أو الحلم أو المنامة في هذا العمود الصحفي، وتبدأ معها رحلة المعنى بين حقيقته ومجازه.

جاء في العمود الصحفي «نمت على هذه الوصية التي قلتها على مضض بعد أن بقيت شهرين على مرض. نمت لأجد نفسي في 5 أكتوبر 2022». فهل هو الهروب من الواقع؟ أم مواجهة الواقع بالنوم؟ الأمر سيان كلاهما هروب وعجز، وكتم وكبت للانفعال ذلك ما تدل عليه كلمة "مضض".

والمطلوب: الهدوء، والوالفة خير من التالفة. كما يريد أن يرسخ ذلك الخطاب السياسي بواسطة الخطاب الإعلامي.

«والحمد لله: الدنيا بخير والشعب الباقي خير من والو، شعب الله محتار في أمره».

أعتقد أن هذه المقولة مفتوحة على التأويل؛ وإن كانت تبدو لغة إعلامية مباشرة، ولكنها ليست كما تبدو، **إنها تختزن دلالاتٍ ومعانيَ مؤسسة على تصورات ذهنية تظهرها ألفاظ هي عبارة عن حقول للدلالة الجامعة بين الحقيقة والمجاز، وكيفية تم فصلها لغة وتصوّراً وتخييلاً.**

إنّ التأويل يكمن ههنا، وبما أنه يكمن في طبيعة الكلام نفسه، واحتمال قائم في القول، وإمكان تقتضيه اللغة برأي الماوردي؛ أي يقتضيه الدال وليس المدلول [40] ، فإنه يبدأ بفك مواضعات هذه الكلمات في سياقها اللغوي، وفي لحظتها الخطابية التي قيلت فيها.

فما بقي شيء إلا بقية شعب له الله. الكل تنصّل من مسؤوليته، وتفتت، وانتهى، وذاب، ونام وتدثر بالغياب في الخيال. ولذلك نرى التأويل مفتوحا على الحيرة وأسئلتها المحرقة، ووجوهها وأقاويلها المتعددة في هذا الخطاب. **والمطلوب كبت الحيرة، والتزام الهدوء، والوالفة خير من التالفة.**

4-2-4-2-كلما ضاق الواقع اتسع التخييل:

يستمر الصحفي صاحب المنامات في هروبه من الواقع الذي استوعبه بكل محتوياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بكل فئاته وجماعاته وخطاباته، إلى ممارسة التخيل وتنشيطه ليتصور من خلاله المستقبل الذي يُراد لنا الوصول إليه، والتبشير به، ليكون نتيجة لبرنامج الإنعاش الاقتصادي، وخزينة في حالة موتٍ سريري، وموعد ذلك سنة 2022.

لقد وجد نفسه ملياردير كبقية المواطنين البسطاء الموظفين مثله؛ راتبه الشهري مليار سنتيم بالتمام والكمال، وهو أمر لا يصدّق في ظل اقتصاد في حالة إنعاش وخزينة في حالة موتٍ سريري! فما بالك بالموظفين السامين والتجار ورجال الأعمال.

لكن الغرابة تثير أمراً آخر لا يصدق هو أيضا عندما يتم التأمّل في الأسعار:

- خبزة عادية بـ 15 مليون سنتيم كما جاء في العنوان.
- كلغ واحد بصل بـ "زوج ملاين سنتيم".
- سيجارة واحدة "قارّو" بـ: 700.000 سنتيم.
- وأكثر من ذلك استلف من عند صديق محامٍ 500 مليون سنتيم لإكمال المصاريف الشهرية.

وهكذا صار كل الناس فيهم: "لكريدي"، صار الجميع مديونا بما في ذلك الدولة التي لا تسأل عن ديونها الداخلية والخارجية. وفي النهاية تفوق الدينار على العملتين الأجنبيتين: "الأورو" و"الدولار"، وبقية العملات الأجنبية، وجعلها موضوع نكتة متحديا بقوله للأورو: «يا وحد الرخيس... شحال ما تزيد... شاريك شاريك».

وصارت "أباطا شمة" بـ 50 مليون سنتيم؛ أي بقدر سعر الحج قبل 5 سنوات، وذلك معناه إما أن تحج وإما أن تشم، الأمر الذي أدى إلى انخفاض عدد الحجاج من 1000 حاج في المليون إلى حاج واحد في المليون، ونحن الآن في حدود 45 مليونا، معناه أن عدد الحجاج سيكون 45 حاجا فقط...

وأخيراً: الحمد لله على نعمة المطبعة ولا حول ولا قوة إلا بالله من التضخّم، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأي واقع كهذا؟ ورفاهية كهذه؟

المطلوب الهدوء والوالفة خير من التالفة.

لقد قدم الصحفي وصفاً ساخراً لواقع افتراضي غير معلوم مقابل واقع حقيقي مأزوم، ونقدا لاذعا لخطاب سياسي سائد متشبث برأيه، غير قابل للنقد. بل وأكثر من ذلك يتخذ من الرعب والتخويف وسيلة للاستمرار وللإقناع بذلك.

يمكن أن نعد الصحفي عمار يزلي في منامته هذه، ومناماته الأخرى، قد تمثل الواقع الجزائري، وتصوره بكفاية ودراية وقدرة على التعبير الساخر والخيال الخلاق الباني للأنساق الرمزية، المنطلق من التفكير الاستعاري العام، المندرج في النشاط الذهني التنظيمي الذي يدرك الإنسان العالم من خلاله [41].

إن المثل الشعبي «**الوالفة خير من التالفة**» في هذا الخطاب يمثل طرازاً من «الأطرزة الذهنية المنغرسة في المخيلة أو الذاكرة اللغوية المشبعة بالتقاليد الثقافية والتجارب الإنسانية المستمدة من البيئة والمحيط. وهذا التفاعل هو إسقاط لهذه الأطرزة على التجارب المعيشة في البيئة» [42].

وكما نعرف فإن عمار يزلي صحفي وقاص وأستاذ جامعي جزائري مشهود له بالتجذر في أعماق الثقافة الشعبية التي هي ميزة من مميزات بيئته.

ومشهود له أيضا بإجادة هذا النوع من الكتابة الناقدة الساخرة القائمة على اللعب باللغة، واللعب علم لا بد من إجادته، **ومن ذلك القدرة على المزج بين اللغة في مستواها الدارج والفصيح، وتفعيلها في خطاب واحد.**

«لا أخفي عنكم سرا إن قلت لكم: "الفيش دوباي" أنتاعي في وظيف عمومي بلغ مليار سنتيم... فما بالك بالموظف السامي والجوج و"الما_حامي"» يقصد المحامي.

يجد القارئ لهذا العمود الصحفي فكرة ألعاب اللغة مطروحة بقوة، وتمثل اختيارا لغويا في التعبير عن الغرض وتبليغ المقصد من لدن الصحفي. «حيث يتنزل هذا الخطاب بصورة أساسية في قلب منظور لغوي يتجاوز الوظيفة التوصيلية للغة إلى جوانب أخرى تداولية تراعي تأثير أنماط الخطاب المختلفة»[43].

ويصدر عن تصورات مفهومية معرفية استعارية من لدن مستخدم اللغة الذي يشكلها في نسقٍ تصوري ذهني دال، يعادل واقعا أو وقائع منبثقة عنه.

«إن الاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل واحد منا، برأي جورج لايكوف ومارك جونسون» [44].

5- خاتمــة

يتبيّن لنا من خلال دراسة النماذج الأربعة المختارة، أن الخطاب الإعلامي خطاب متعدد منفتح على القراءة والتأويل، وأن اللغة الإعلامية لها قوانينها ومواضعاتها الخاصة الكامنة فيها، والمعبرة عنها، والمميزة لها، التي تحتاج إلى الكفاية والدراية في إنتاجها وتلقيها وقراءتها وتأويلها.

وأن العلوم المعرفية تعد مدخلا منهجيا في تأويل هذا النوع من الخطاب شأنه شأن الخطابات الأخرى، وأن الاستعارة مثلا لا تقتصر على الخطاب الأدبي وحده؛ وإنما مداها واسع، وفائدتها كبرى في الخطابات الأخرى، ومنها الخطاب الإعلامي حيث تتعدى الدلالة التوليدية المتعلقة بسلامة التركيب إلى الدلالة المعرفية المنشدة لسعة المعنى وكيفيات تصوره وإدراكه وتمثله وتجسيده على مستوى النظام اللساني والإيقوني معا.

المراجع:

1- توجد خطابات أخرى منها: الإشهار والدعاية وغيرها.

2- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي، عالم المعرفة، رقم 265، 2001، الكويت، ص 378.

3- المرجع نفسه، ص 379.

4- مثل الذي نراه في التلفزيون والإذاعة، وأحيانا نقرأه في الصحافة المكتوبة مثل: سيسبانس، وجبيلي، وآوْت، وسوبركوب، والبروموباراليغ... في الخطاب الرياضي وهو أكثر انتشاراً.

5- ينظر: ماري تيريز عبد المسيح، التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص 7.

6- بشير إبرير، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، الفصل الخاص باستثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008، ط1، ص 69.

7- ينظر: علي حرب، الحقيقة والمجاز نظرة لغوية في العقل والدولة، مجلة دراسات عربية، عدد 6، 1983، ص 45–46.

8- نذكر منها: الشرح والتفسير والتحليل والقراءة.

9- ينظر: للمزيد من المعلومات، حسان الباهي، الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 20112، ص 35–36.

وينظر أيضا: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص 13.

وينظر أيضا: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد3، 2015، ص 179.

10- ينظر: صوفي موارون، ملاحظة وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية، ترجمة: عبد المجيد جحفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009، ص 12.

11- ينظر: باتريك شارودو ودمونيك مانقونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمه عن الفرنسية: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، راجعه: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 377.

12- ينظر: حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ط1، تونس، 2005، ص 8–9.

13- Jaques Guil Haumo, Ou va l'analyse de discours ? Autour de la notion de formation discursive, p 5,6,7,8. http://corp.vivues.org/documes320.html.

14- ينظر: أحمد كروم، الترجمة والتأويل التداولي، عالم الفكر، العدد4، المجلد 41، إبريل–يونيو 2015، ص 200.

15- عبد الكبير الحسني، البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية، من اللغة إلى الذهن، ص 7–8.

16- محمد غاليم، المعنى والتوافق، مبادئ في تأصيل البحث الدلالي العربي، سلسلة أبحاث وأطروحات، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، ط1، 1999، ص 52.

17- محمد غاليم، المرجع السابق، ص 116.

18- ينظر: عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانقاكر **R.Langacker**)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2010، ص 40.

19- ينظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحفي، من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 45.

20- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية، سلسلة كنوز المعرفة، ط1، 2017، عمّان، ص 382.

21- ينظر: ماري تيريز عبد المسيح، التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص 7 وما بعدها.

22- بشير إبرير، الصورة في الخطاب الإعلامي، دراسة سيميائية في الأنساق اللسانية والإيقونية، ملتقى الصورة والخطاب، 18–19 مارس 2009، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

23- ينظر: علي جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية، معاينات مونوغرافية في الأنثروبولوجيا المرئية، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2013، ص 64.

24- ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات: أبعاد أبستمولوجية وجهات تطبيقية، كنوز المعرفة، ط1، عمّان، الأردن، 2017، ص 23–24.

25- ينظر: نسمة بطريق، الدلالة في السينما والتلفزيون في عصر العولمة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص 201.

26- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة، ص 38.

27- فانسون جوف، القراءة، تقديم وترجمة: محمد أيت العميم ونصر الدين شكير، مراكش، المغرب، ط1، 2013، ص 23.

28- محمد حسام الدين، الصورة والجسد، دراسات في الإعلام المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص 84.

29- متعب مناف السامرائي، تصديره لكتاب: علاء جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية...، ص 10.

30- هذه العبارة لتوفيق بكار من تقديمه لرواية الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، سلسلة عيون المعاصرة.

31- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة...، ص 44.

32- ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة، المرجع السابق، ص 150.

33- علي حرب، الحقيقة والمجاز: نظرة لغوية في العقل والدولة، مجلة دراسات عربية، عدد 6، 1983، ص 45.

34- ينظر: محمود العشيري، الاستعارة... استراتيجية حرب –دراسة في لغة الخطاب السياسي للحرب على لبنان، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 41، 2013، ص 232.

35- ينظر: المرجع نفسه، ص 233–234.

36- المرجع نفسه، ص 234.

37- يمكن الإشارة إلى أن عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) قد قدم آراء مهمة وجيهة في هذا المقام، فيما يتعلق بنظرية النظم، في كتابه: "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، وفي كتابه الآخر: "أسرار البلاغة". ويمكن أن يكون البحث في الاستعارة المعرفية مهمًّا جدا إذا أخذ بعين الاعتبار التراث اللغوي العربي منطلقا عند عبد القاهر وعند غيره من العلماء العرب الأجلاء مثل: الجاحظ (ت 255هـ)، والفارابي (ت 339هـ)، وابن جني (ت 392 هـ)، وغيرهم. ونسجل أيضا أن مفاهيم مثل: البيان، والمجاز، والتخييل، والتأويل... هي أيضا مفاهيم علمية معرفية بالمصطلح الحديث.

38- صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي: من التداولية إلى الإدراكية، النادي الأدبي، الرياض، ط1، 2015، ص 186–187.

39- ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة...، ص 402.

40- ينظر: علي حرب، الحقيقة والمجاز...، ص 47.

41- ينظر: صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، ص 213.

42- المرجع نفسه، ص 213–214.

43- محمود العشيري، الاستعارة استراتيجية حرب...، ص 232.

44- المرجع نفسه، ص 234.